الشَّكوى والضَّراعةُ إلى الله من الألم الجسدي والنفسي عند شعراء سعوديين

(١٣٧٠ - ١٤٠٠هـ)

د. لطيفة بنت عبدالعزيز المخضوب
قسم اللغة العربية - كلية التربية (الأقسام الأدبية) - جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

الشكوى والضراعة إلى الله ممارسة طبعية لكل إنسان مؤمن بالله في كل الأوقات والأحوال، وتزداد تلك الشكوى والضراعة عند الإحساس بثقل الذنب، ووخز الإثم، وصرخات النفس اللوامة، أو عند وجع جسدي، أو ألم نفسي، أو قلق فكري، أو عند حاجة خاصة أو عامة... والشاكي دائمًا يلجأ إلى من يزيل الشكوى أو يخففها، فيلجأ إلى دروب عدة، ومسالك متنوعة، ولكن الملاذ الآمن والحصن الحصين هو اللجوء إلى الله جل وعلا، والضراعة له، فهو القادر وحده على تحقيق الحاجة والراحة. "إن أمورًا كثيرة تلجئ الشاعر إلى الله كما تلجئ غيره، فحالات المرض، والحروب، والتطاول على الحقوق، وكثرة الذنوب، وضياع الأمة، وانتهاك حقوقها، كل هذه تحمل الشاعر المسلم على اللجوء إلى الله والتطلع إلى مساندته"(١).

---

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، د. حسن بن فهد الهويمل، نادي القصيم الأدبي، بريدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص١٧٢.

وتتنوع مضامين هذا الشعر وتتعدد، وربما كانت الشكوى وحدَّتُها هي التي تحدد نوعية هذه الضراعة وتلك الشكوى التي تتوقف على نفسية الشاعر وظروفه؛ لذا يختلف هذا الشعر من شاعر لآخر، فمنهم من يبكي ويستغفر، وآخر يطلب الرحمة، وثالث يسأل كشف الضر، ورابع يستغيث استغاثة المكروب، ومنهم من يلجأ إلى الله في الشدائد والمصائب من أمراض ومحن...

وشعر الابتهال والدعاء وبيان عظمة الله وافر في الشعر السعودي، ولا يخفى أن هذا الموضوع الشعري واسع ومتنوع، ويحتاج إلى دراسة مستفيضة، وممتدة زمنيًا، وشاملة لكل أشكال شعر الشكوى والضراعة إلى الله في الشعر السعودي، لذا فقد اقتصرت في هذه الدراسة على محور واحد هو: الشكوى من أوجاع الجسد، وآلام النفس، ومن الضيق والحزن، أي دراسة بعض النصوص الشعرية السعودية التي ترتبط فيها الشكوى بالضراعة إلى الله، واللجوء إليه، أي بث الشكوى والمعاناة من أوجاع الجسد والنفس، ثم الضراعة إلى الله والابتهال واللجوء إليه، أي ارتباط الضراعة أو الابتهال بالشكوى، وليس الدعاء فحسب أو الشكوى فحسب، بل ارتباطهما معًا، فكلاهما يستدعي الآخر وينبثق منه. وقد حددت الفترة الزمنية في هذا البحث من عام ١٣٧٠-١٤٠٠هـ؛ لأن هذه المرحلة الزمنية من عمر الشعر السعودي تمثل مرحلة الاستقرار والنهضة، وهي ثمرة التعليم، ونتاج الاستقرار، وتنوع مصادر الثقافة، من مكتبات ووسائل إعلام... أيضًا

برز في هذه الفترة شعراء كبار أسهموا في نهضة الأدب السعودي.

إن لجوء الشاعر المسلم إلى خالقه يناجيه ويبثه شكواه، ويبوح بمعاناته، ويضرع إليه، شاكيًا، وسائلاً تحقيق حاجاته، لا يدخل تحت مظلة نزعات، أو اتجاهات أدبية، ولا يمكن أن يصنف ضمن تيار أدبي معين له تصنيفات وتنظيرات...، غير أنه شاعر مسلم مؤمن متوجه إلى قاضي الحاجات، شاكيًا وضارعًا. لذا لن أربط هذا الموضوع الشعري باتجاه أدبي محدد.

وقبل دراسة النصوص لا بد من توضيح ماهية الشكوى والضراعة إلى الله من الناحية اللغوية، ثم بيان معنى شعر الشكوى والضراعة إلى الله، ومدى علاقته بالدعاء. وبما أن هذا الشعر يتميز بلغة ذات معجم معين، وتستند بشكل كبير إلى الأخذ من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فمن الواجب بيان مواطن الاقتباس في بعض النصوص الشعرية.

وقد اخترت دراسة هذا النوع من الأداء الشعري لما يحمل من مضامين إسلامية عميقة. ولتأكيد أن الشعر ليس عبثيًا لاهيًا؛ بل هو جزء من الفنون القادرة على ترسيخ وتجسيد العقيدة، والقيم، والمبادئ.

ماهية شعر الشكوى والضراعة إلى الله، وبيان مدى علاقته بالدعاء:

الشكوى هي بث الألم والحزن، والبوح بالأوجاع(٢)، كما في وصف عنترة بن شداد لتوجع فرسه الحزين الشاكي بعبرة حرّى، ونظرة أسيانة، وحمحمة مفصحة(٣):

فازْوَرّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بلَبَانِهِ   وشَكَا إليّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ
لو كانَ يَدْرِي ما المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى   ولَكانَ لو عَلِمَ الكَلامَ مُكَلّمِي

أما الضراعة فهي: طلب الحاجة في ذل وخضوع، وشعور بالضعف واللين(٤).

ولأن الشكوى بث الألم من وجع نفسي، أو جسدي، أو فكري، وغالبًا ما تكون الشكوى لمن يقدر أن يزيلها أو يحد منها أو على الأقل ليخفف الشاكي عما في نفسه من هذا الهم أو الوجع ؛ فيمكننا أن نرى الصلة بين الشكوى والضراعة وثيقة، فكلتاهما تعني ألمًا وحاجةً وإفصاحًا، وتزيد هذه الصلة عمقًا وقوة عندما تكون الشكوى والضراعة للقادر على رفع الشكوى، ولمن تكون له الذلة والخضوع.

ولمعرفة ماهية هذا الشعر ونوعيته، لابد من بيان معنى الدعاء اصطلاحًا: "ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه - عز

---

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور. دار صادر، بيروت، ١٤/٤٣٩ - ٤٤١، مادة: شكا.

(٣) جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي، شرح وتعليق: د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، ص١٥٠.

(٤) انظر: لسان العرب، مادة: ض ر ع.

وجل - العناية واستمداده إياه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله (عز وجل) وإضافة الجود، والكرم إليه، ولذلك قال رسول الله ﷺ "الدعاء هو العبادة"(٥). وهناك تعريف آخر للدعاء: "الدعاء، والدعوى مصدران، ويقال: الطلب، والسؤال، والمسألة: عبادة، وسمة للعبودية، يستدعي به العبد من الله العناية، ويستمد المعونة ويستجلب الرحمة، ويستدفع النقمة، ويظهر به الافتقار والذلة البشرية متبرئًا من الحول والقوة إلا به"(٦).

وبناء على التعريف اللغوي للشكوى والضراعة، ولمعنى الدعاء، يمكننا تعريف شعر الشكوى والضراعة إلى الله بأنه: شعر ذو نزعة إسلامية، وموضوع إسلامي، يلجأ الشاعر فيه إلى الله، يناجيه ويبثه شكواه، ويبوح بآلامه، وآماله، ليس على سبيل الإفضاء فقط، بل رغبة في تحقق إزالة الشكوى.

---

(٥) شأن الدعاء، لأبي سلمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق. دار المأمون للتراث/ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٣.

(٦) تصحيح الدعاء، بكر عبدالله أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. ص١٥.

الشكوى والضراعة إلى الله من الألم الجسدي، والنفسي عند شعراء سعوديين:

من الشعراء السعوديين الذين ابتلوا بالمرض عبدالسلام هاشم حافظ (١٣٤٧-١٤٠٩هـ) فقد أصيب "بمرض القلب وهو بعد في الثانية عشرة من عمره، واشتدت عليه أزماته، فكان كلما أصيب بأزمة خرج منها بقصيدة، حتى قدر له وأجرى العملية الجراحية لفتح صمام بالقلب في أواخر عام ١٣٧٦هـ"(٧)، وقد جسَّد الشاعر وصور معاناته مع المرض في شعره، وشكا إلى الله وجعه، ضارعًا إليه وحده في تحقيق الشفاء، وكتب ديوانًا كاملاً أسماه: "قلبي المناضل" بين عامي ١٣٦٧-١٣٧٧هـ/ ١٩٤٩-١٩٥٨م، أغلبه عن معاناته مع مرض القلب، وما يكابده منه، ولا تكاد تخلو قصيدة من الثناء على الله سبحانه وتعالى، والابتهال إليه، والشكوى إليه سبحانه من قسوة الدَّاء. وقد اتبع أساليب متنوعة في الكشف عن معاناته مع مرض القلب، وما يقاسيه من آلامه، عن طريق القصائد الغنائية، والقصصية، والحوارية ذات الحس المسرحي، وذلك بتشخيص المرض ومحاورته، وإشراك شخوص متعددة تسانده في البوح بمرضه.

ففي عام ١٣٧٤هـ شكا إلى الله علَّته، وتضرع إليه قائلاً(٨):

رباهُ هذي قصةُ الشَّبِّ المصابِ وثورة الألم المقيمْ
ألمٌ طغَى بالنفسِ والقلبِ الكئيب، وعذّب الجسمَ السّقيمْ

---

(٧) وحي وقلب وألحان، (قلبي المناضل) نادي أبها لأدبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ص١٠٥.

(٨) المرجع نفسه، ص١٠٧.

ربّاه أدرك شاعرًا تشتد علّته وتبكيه الغيومْ
يَحيا سجينَ العلَّةِ العظمَى، عليلاً ضلَّ في وادي الجحيمْ
أنقذْه.. أنقذْ جسميَ الواهي وأنتَ رجائي الباقي الرحيمْ

وعلى الرغم من محاصرة المرض وسيطرته على جسد عبدالسلام هاشم حافظ إلا أنه لم يسخط أو يتبرم بالمقدور، وظل صامدًا في وجه الداء، راضيًا بقضاء الله، متأملاً في محنته - كما ظهر من النص - "لقد حجزني الألم عن الناس بشخصي، وعن كل متعة بنفسي، ولكنه التصق بي في هيكل الفكر، ودار بي في ميادين المعرفة المختلفة.. فإذا بي راهب فكر، أتحدى الألم وأقاوم شتى الأعاصير التي تهب في طريقي بين الفينة والفينة، وحسبي هذا"(٩).

وتتكرر شكوى عبدالسلام هاشم حافظ من المرض واستغاثاته بالله سبحانه وتعالى راجيًا رحمته، ففي عام ١٣٧١هـ شكا وجعه، سائلاً الله اللطف به، في قصيدة سمَّاها: (ومن أجل الآخرين)(١٠)، مزج فيها بين شكوى حاله، ومرضه، وضراعته إلى الله، طالبًا الرحمة، في لغة شاكية، تشي بحدة المعاناة من الوجع:

رباهُ قد طالَ اغترابي واضطرابُ مناهجي
ودجَى عليَّ العمرُ في فجري وفي الصبح البليلْ
رحماك يا منْ ترتجيه الخلقُ تفريجَ الكروبْ
قلبي تداعى اليوم تحتَ معاولِ الدَّاء القديمْ

---

(٩) المرجع نفسه، ص١٠٦.

(١٠) المرجع نفسه، ص١٣١.

جسمي تهدَّده السَّقامُ وغاله الضّعفُ المريب
ودمُ الشباب يمورُ في عصبٍ تضعضع بالهموم
أوَّاه يا ربي ومَنْ أشكو إليه هنا سواك؟

ويستمر في الضراعة والشكوى من المرض، ومناداة الموت:

أنقذ حياتي من لظَى الأدواء والألم الدفين
قد عيَّ جسمي باحتمال الداءِ والهمِّ الصَّبيب
أنْصِفْ فؤادي، فالفؤادُ من الشُّجونِ دعَا المنون

لقد لجأ الشاعر إلى حروف المد والنفس الطويل: (الصَّبيب، المريب، الكروبْ، الهموم، الشُّجونِ، المنون...) مما أكسب النص مزيدًا من الأنين والشجن.

وتشتد معاناته مع المرض، فينزف: "يا رحمة الله"(١١):

يا رحمة الله أنت اليوم مأملنا
مُنى لنفسي التي أغرى بها السقَمُ
طالت بي الشقوةُ الحمقاء واضْطربتْ
مواهبي، وطغَى في حسِّيَ الألمُ
الدَّاءُ يفتكُ في جسمي وتُرهقُه
مخالب العلَّةِ الدهياء والرَّجمُ(١٢)

---

(١١) المرجع نفسه، ص١٤١.

(١٢) "والدَّهْياءُ: الدَّاهية من شدائدِ الدَّهْر... دواهِي الدَّهْر: ما يُصيبُ الناسَ من عظيم نُوَبِه..." لسان العَرب، مادة: د هـ و.

قلبي يُناديك، طالت حـيـــرتي ودجَى
حظِّي، وأنت المرجَّى فـيـــه والحَكمُ

مأساة الشاعر سطَّرها في شعره، وأودع فيه قصته مع العلة المستحكمة، كما ذكر أن حياته "من أول سطورها تحمل الكثير من الآلام المتولِّد بعضها في أعقاب بعض... فإذا هي من المرض والقلق، ومن الحرمان والكآبة"(١٣). ومع أن المرض عاث في جسد شاعرنا، وكابد آلامه، إلا أنه تدثر بالصبر، ولجأ إلى الله في شدته، لا يرجو من غيره الرحمة واللطف، كما أنه جسَّد معاناته وصورها بلغة كاشفة عما يمور في داخله، وما يضج في نفسه من مشاعر متضاربة بين الأمل واليأس، هذا اليأس الذي يطرده باللجوء إلى الله شكوى وضراعة، فاختار من الألفاظ والعبارات والصور ما يعينه على تصوير وجعه الجسدي: "قلبي تداعى اليوم تحت معاولِ الدَّاء القديمِ، جسمي تهدَّده السَّقامُ، لظَى الأدواء والألمَ الدفين، الدَّاءُ يفتكُ، مخالب العلَّةِ الدهياء، الشقوةُ الحمقاء". وتتكرر لفظة الداء مرات عدة في القصيدة الواحدة، وهذا التكرار يكشف عن محاصرة المرض للشاعر، وسيطرته عليه، مما يوحي بمدى معاناته من قسوة المرض. وقد ألقت اللغة الشعرية بظلالها على مناخ القصائد، فالألفاظ والعبارات التي يشكو بها الشاعر ويتضرع إلى الله أيضًا تجسد هذا الوجع وتلك المعاناة، فجاءت الضراعة بوحًا بالمعاناة وبالوجع، أكثر من كونها دعاءً خالصًا.

---

(١٣) وحي وقلب وألحان، (قلبي المناضل)، ص١٠٥.

أما الشاعر أحمد عبدالغفور عطار (١٣٤٣-١٤١١هـ) فيضرع إلى الله أن يرحمه ويشفيه بعد أن برحت به الحمى الملتهبة، وغشَّى على عينيه الرمد القاسي، وذلك في "رحماك رباه"(١٤):

إني فريسة حمى جدٌّ نافضة
تصلي فؤادي وتستشري على كبدي
واستأسد الرمدُ القاسي على بصري
وغم عيني، فيا ويلي من الرمدِ
وصار قلبي بكفِّ الهول يعصرُه
والسقمُ يفتك بي والنارُ في جسدي
وما تبقى بجسمي غيرُ أعظُمِه
تكسى بجلد وهذا الروحُ في صَفَدِ(١٥)
شتى سهام توالى فيَّ صاردُها
غضبان لا ينثني عن جسم مضطهدِ(١٦)
من كُل ناحية يأتي مسددهُ
يُصمى ولا مثل سهم جدِّ مصطردِ

---

(١٤) الهوى والشباب، أحمد عبدالغفور عطار، مؤسسة جواد للطباعة، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٥٥.

(١٥) الصَفَد: الوثاقُ. (لسان العرب، مادة: ص ف د).

(١٦) صاردُها:"الصَّرْدُ: الطعنُ النافذُ. وصَرِد الرمحُ والسَّهم يَصْرَدُ صَرَدًا: نَفَذَ حدُّه. وصَرَدَه هو وأَصْرده: أَنْفَذَه من الرَّميَّة... " لسان العرب، مادة: ص ر د.

فــلا مــفــر مـن الحُــمَّى وقــدْ سكنتْ
جــســمي وقلبي وأوهتْ باللظى جلدِي

وبعد أن يجسد وجعه ومعاناته، يسأل الله أن يرحمه، ويشفيه من علته، فهو وحده سبحانه من يلجأ إليه عند الشدائد:

يا رب رحــمــاك بي فــالســقمُ برَّحَ بي
وأنت وحــدك يا رب الورى صــمــدي
وليس غــيــرك يشــفــيني ويرأفُ بي
فـعـافني من لظـى الحـمى وخُذ بيـدي

جاءت مساحة الشكوى، والبوح بالألم، وتجسيد المعاناة من المرض، أوسع من الضراعة والدعاء، مما يوحي بعنف المرض وشدته، وتراخي قدرة الشاعر على التحمل أمام سطوة الداء. كما أن بوح الشاعر بمرضه الجسدي يوحي بقسوته، يدل على ذلك الصور الشعرية التي شخّص بها المرض: "استأسد الرمدُ القاسي على بصري، وصار قلبي بكفِّ الهول يعصرُه، شتى سهام توالي فيَّ صاردُها"، تصوير قوي لنهش المرض للجسد البشري الضعيف، ولغة صارخة كاشفة عن عظم البلاء.

والشاعر طاهر زمخشري (١٣٣٢ - ١٤٠٧هـ) قبل وفاته اعترته الآلام والأسقام الجسدية المبرحة، فتوجه إلى الله شاكيًا من أوجاع الجسد والنفس، ضارعًا وطالبًا رحمته وشفاءه، وعفوه، فقيرًا إلى نواله سبحانه. لكن وهو في ضراعته وشكواه يغضي خجلاً من ذنوبه ومعاصيه وتقصيره، ومع ذلك يرجو رحمة رب كريم، ويقبل على الله بروح مفعمة

بالأمل والرجاء، رافعًا يديه يرجو عطاءه، وذلك في قصيدة "رباه"(١٧):

ربَّاهُ قد كنتَ لي في كلِّ ضائِقَةٍ   ولا تزالُ مُـجـيـبًـا حين أبْـتَـهل
وأَلْف معصيةٍ أُغْضِي لها خَجَلا   وقـد تـعَـثَّـر بـي من ذُلِّهـا الوجَلُ
لكنَّ عفوَكَ عنها ليس يدفَعُني   إلا إلى حيثُ من رحماكَ أَنْتَهِلُ
وقد بسطتُ يدي أرجوكَ نائلةً   من فيضِها لحياتي يَبْسِمِ الأملُ

والشـاعـر راض بقضـاء الله وقدره، وهو صابر على ما أصابه من الأوجاعٍ ولهيبها، فقد نحل جسده، وذوى من العلل، واشتعلت مآقيه من لهيب الأدواء:

وما تَبرَّمْتُ والمقدُورُ يعصفُ بي   لأنَّني بالذي تَقْضِيه أَحْتفِلُ
فـامنن عليَّ بما عـودتني فلقـد   ناشَت" فـؤادِي" وأَذْوَتْ عـودَهُ العِلَلُ
فـالداءُ يُشْعِلُ في طَيَّاته لهـبًا   وفي مـآقِيَ من جـبَّـاره شـعَـلُ

ثم يتوجه إلى الرحمن الرحيم الشافي المعافي ضارعًا طالبًا الشفاء:

ربَّاه هذي يدي تَمْتَدُّ ضارعةً   وبَرْدُ لُطْفِكَ رِيٌّ مـالـه مَـثَـلُ
فإنْ رحِمتَ فَفَضْلٌ أنت سابِغُه   عليّ بُرْدًا به مـا زلتُ أَشْـتَـمِلُ

تفصح ألفاظ الشاعر عن عاطفة صادقة، وتصور قلبًا خاشعًا وجلاً خائفًا، راجيًا من الله الشفاء والرحمة وبرد اليقين.

---

(١٧) مجموعة النيل، ديوان: عودة الغريب، طاهر زمخشري، الناشر: تهامة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٦٨٣.

ومن الشعراء الذين سيطر عليهم التشاؤم، وقهرهم الحزن، والمرض: الشاعر حمد الحجي (١٣٥٧ - ١٤٠٩هـ)، "فإن المرض النفسي قد داهمه ولم يجاوز الرابعة والعشرين من عمره فعطّل فيه كل قدرة منتجة، وأعاق تلكم العبقرية المبكرة، والطاقة الشعرية الهائلة، فحرمنا بذلك من شاعر لو سلم لكانت له شئون"(١٨). لقد عاش الحجي، مكتئبًا حزينًا، وصور في شعره نفسيته المهتزة الحائرة، ورؤيته القاتمة للحياة والأحياء، تلك الرؤية التي لا تستطيع التكيف مع واقعها وظروفها، فعاش حزينًا قلقًا غريبًا بين الناس، إلى أن أودى به هذا القلق إلى الإصابة بمرض نفسي حاد، يظهر من شعره أنه مرض الاكتئاب، الذي بدأ بالقلق وكراهية الحياة، وعدم التكيف مع الواقع، ثم تطور هذا القلق والاكتئاب إلى ازدواج في الشخصية، بلغ مداه وتحول إلى مرض عقلي في آخر حياته، ثم أصيب بالتهاب حاد في الرئة، قضى عليه عام ١٤٠٩هـ. ولقد بقي أغلب سنوات عمره خلف أسوار المصحات النفسية والعقلية، فقد تنقل بين المصحات النفسية في الكويت، ولبنان، ومستشفى الأمراض العقلية والنفسية بشهار في الطائف، والمصحة النفسية بالرياض، بحثًا عن الشفاء. حقًا إنه "من الشعراء البائسين التعساء"(١٩).

---

(١٨) الشاعر حمد الحجى، أ. د. محمد بن سعد بن حسين. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٣٤.

(١٩) شعراء نجد المعاصرون، عبدالله بن إدريس، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ص٢٠١.

والدراسة هنا لما أبدعه الشاعر في بداية مرضه النفسي، عندما كان واعيًا بتصرفاته، وبآلامه وأحزانه ووساوسه التي سيطرت عليه وغلبته وأدخلته في سراديب المرض النفسي، قبل أن ينتهي به التجوال إلى ذهاب العقل والانسحاب من الواقع، فجمدت مشاعره وأحاسيسه المتأججة بالتذمر والسخط على كل شيء حتى على ذاته.

لقد كشف شعر الحجي عن هذا القلق والألم العنيف المتجذر في نفسه، "وكثيرًا ما يصور حياته في شعره، غير أنه مضطرب فكريًا لنوازع القلق التي تهدد كيانه من جراء البؤس والفاقة"(٢٠). نشأ الحجي فاقدًا لحنان الأم، فقد توفيت والدته وهو صغير، وعاش مع أب فقير معدم، اضطر بسبب هذا الفقر إلى العيش في بيت أخته(٢١). حياة أسرية مضطربة غير مستقرة، وعوز مادي، هذه العوامل مجتمعة تراكمت على نفسية شاعر مرهف، فشكلت شخصية معذبة بائسة حزينة. على أن الحرمان المادي، والجفاف العاطفي الذي نشأ فيه الحجي لا يولِّد دائمًا القلق النفسي المتجاوز للحدود أو المرضي، إن لم تكن هناك عوامل أخرى مساندة، لعل من أبرزها النفسية الحساسة المرهفة، التي هي نقمة في حالة هذا الشاعر. وربما كان من العوامل المحفزة على بروز حدة القلق والتوتر النفسي عند الحجي - وإن لم يكن عاملاً رئيسًا - العصر الذي عاش فيه الحجي، فعصره

---

(٢٠) المرجع نفسه.

(٢١) اتجاهات الشعر المعاصر في نجد، د. حسن بن فهد الهويمل، نادي القصيم الأدبي، بريدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص٢٤٠.

"عصر نقلة فجائية قفزت به من مستوى قروي محدود الثقافة والحضارة إلى حياة حضارية متمدنة يمزق فيها العلم ستر الجهل... حياة تأخذ بشتى وسائل التقدم التي وصل إليها إنسان العصر الحديث في كافة مجالات حياته المادية وغير المادية"(٢٢). إنها الصدمة الحضارية التي تصيب بعض الناس بعدم القدرة على التكيف والتلاؤم مع المتغيرات، أو الغربة النفسية. أيضًا يجب التسليم بأن المرض النفسي كالمرض الجسدي، يبتلى به بعض الناس دون أن يكون هناك بواعث ظاهرة أحيانًا لهذا المرض النفسي أو ذاك العضوي. وليس كل شيء في الحياة يخضع للتفسير والتأويل البشري القاصر.

لقد نشأ الحجي متشائمًا حزينًا، متبرمًا من حياته، هاربًا من الواقع، كثير الشكوى والسؤال. ففي قصيدته المطولة "من أعماق نفسي" يصور حياته ويكشف عن نفسيته القلقة، ويبوح فيها برؤيته القاتمة لكل ما هو جميل، ويسرد فيها ما يشعر به تجاه العالم المحيط به. وقد قسم النص إلى ستة مقاطع، وعنون كل مقطع بعنوان خاص وهي: "خلف المنظار الأسود، طموح وعذاب، الناس والحزين، أماني، لو، إنابة"، والحقيقة أن كل مقطع من هذه المطولة يعد لوحة شعرية رائعة، تجسد الشقاء النفسي كما يعيشه هذا الشاعر، وفيها يستفهم ويتساءل عن سر تعاسته وشقائه، ويكثر من التذمر والشكوى، ويصرخ متسائلاً ما باله لا يرى الأشياء إلا كالحة السواد، ولا يسمع إلا نعيق الغربان. ففي المقطع الأول "خلف المنظار

---

(٢٢) المرجع نفسه.

الأسود"(٢٣) يجسد نظرته إلى الجمال، ويبين عن نفسية متشائمة شاكة حزينة، لا ترى إلا البؤس، والقبح، والغدر:

إنْ نَظرتُ الجمالَ غضًا طريًا   يتَجلّى في المَنْظرِ الخَلابِ
لاحَ لِي أسْودُ المَصِيرِ كمُسَو   دّ الّليالِي مُكَشّرَ الأنْيَابِ
فَرَأيتُ الجَمَالَ يُطوى بأكْفَا   ن ويَبْلى مُمَزّقَ الأسْلابِ
وإذا لاحَ لِي البَهَاءُ وَضِيئًا   قُلْتُ: يَا دَهْرُ لَيْسَ ذا مِنْ حِسابي
وإذَا أُعْجِبَ الأنَام ُبِشيءٍ   بِتُّ مِنْهُ فِي مَوقِفِ المُرْتَابِ
إنْ تغنت حمائِمٌ مِلتُ عنها..   ثم أرهفتُ مسمعي للغُرابِ

ووسط هذا الظلام الموحش، وهذه الدوامة الخانقة، يحاول البحث عن شاطئ يرسو به، ويلقي فيه أحزانه وأوجاعه، بعد تجواله وثورته النفسية الصارخة الحانقة على الحياة والأحياء، نجد في ثنايا تلك الثورة لجوءًا إلى الله سبحانه وتعالى، وتوجهًا بالشكوى له وحده سبحانه، من القلق والسأم والاكتئاب، مذعنًا مستسلمًا للواحد الأحد، بعد أن برحت به الأحزان، واختلطت عليه الدروب(٢٤):

لَسْتُ أدْرِي سِرَّ التَّعاسَةَ إلا   أنَّنِي تُهْتُ فِي دُجَى سِرْدَابِي
رَبِّ تَاهَتْ سَفِينَتِي في ثَنايا الـ   يَمِّ فَارْتَعْتُ مِنْ رُؤَى الأكْرَابِ
يا إلِهي أشكُو إليكَ انقِباضِي   واعتِزالِي وخُلوتِي وانْتِحَابِي
تقْرَعُ الحادِثَاتُ بابِي ولَمْ أُبْـ   صِرْ سُرورًا - يومًا - يَمُرُ بِبَابِي

---

(٢٣) الشاعر حمد الحجى، أ. د. محمد بن سعد بن حسين، ص٤٢.

(٢٤) المرجع نفسه، ص٤٦.

وينهي تلك القصيدة المطولة بالمقطع الذي عنونه بـِ "إنابة"(٢٥) آيبًا إلى الله يسأله الصواب والهدى، قائلاً:

رَبِّ آمنْتُ بالحَقيقَةِ فاجْنُبْـ   ـنِي مَتَاهات أوْبَتِي للعَذابِ
رَبِّ إنِّي أدْرَكْتُ حقَّك فلتُشْـ   ـرِقْ بنفسِي نُورًا يُضِيءُ جنَابِي
هَا أنا قدْ مِللتُ تَجْوالَ عَقْلِي   فِي سَحِيق الأجْوا ولُجِّ العُبابِ
أنَا يا ربِّ إن أُداري جراحِي   مَنْ صُنُوفِ الآلامِ والألغَابِ
فاهْدِنِي للصَّوابِ إنِّي مُنيبٌ   ذُو تسَامٍ إلى الهُدى والصَّوابِ

ومع كل هذا اليأس الكالح، والوجع النفسي الهادر الذي تصرخ به ألفاظ الشاعر وصوره، إلا أننا لا نجد من الشاعر حنقًا، أو سخطًا يتجاوز بالشاعر حدود العقيدة الإسلامية، أو سبًا للقدر، أو جنوحًا نحو الانتحار، بقدر ما نستشف نفسية هشَّة منهكة ضائعة، فاقدة للدفء العاطفي والأمن النفسي واليد الحانية الراعية الموجهة التي تداوي أوجاعه، وتطفئ ثورة نفسه الصاخبة الملتهبة.

لقد كشف شعر الحجي عن نفسيته القلقلة، "ولم يكن الحجي متصنعًا في بكائه، أو مستعيرًا قناع غيره... بل هو شاعر يغترف من بؤس حياته وتعاسة دنياه، ذلك البؤس وتلك التعاسة اللذان صبغا أيامه بجلباب حالك السواد، وأصاباه بكثير من الاضطراب النفسي، وكزازة الطبع، وضيق المزاج، واقتربا به من الشاعر العباسي علي بن جريج الرومي"(٢٦).

---

(٢٥) المرجع نفسه، ص٤٨.

(٢٦) انظر: شعراء من أرض عبقر، محمد العيد الخطراوي، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٣٩٨هـ، ١/ ١٦٩.

ففي قصيدته "ثورة نفس"(٢٧) يحكي لنا حياته بأسلوب يسري فيه نبض القصة، ويصورها بزورق ضعيف يشق عباب البحر/الحياة، وأمواجه الهادرة المتلاطمة الحانقة تضربه من كل جانب، وتحمل من قاعه صرخات الذعر ممن غرق قبله في بحر الحياة، وهو يقود هذا الزورق وسط ظلام حالك السواد، يقول في هذه القصيدة:

فِي سُكُونِ اللَّيْلِ قُدْتُ الزَّورَقَا   قاصِدًا شَطَّ رجَائِي الشَّيِّقَا
مُبْحِرًا نَحْوَ الغَدِ المجهُولِ في   حُلكَة لَمْ أَجْلُ فِيهَا أُفُقَا
كَمْ يثُورُ البحْرُ حولِي مُزْبِدًا   لاهِبَ العَصْفِ مَغْيظًا مُحْنَقَا
حَملتْ أمْواجُهُ مِنْ قاعِهِ   زَعَقَاتِ الذُّعْرِ مِمَّنْ غَرِقَا

وبعد أن أعطى الحجي لمحة لحياته المتشائمة المرتعبة، يتوجه بالشكوى إلى الله سبحانه وتعالى من عقله المرهق، الذي يجول بغير هدى في دياجي الفكر:

رَبِّ ضَلَّ العقْلُ فِي غَيْهَبِه   فَارْحَمِ اللَّهُمَ عَقلِي المُرْهَقَا
َزوْرقِي فَوقَ مِياهٍ عصَفتْ   بَاتَ مجنُونًا وبَاتَتْ َزئْبقا

ثم يستمر الشاعر في تصوير زورقه الذي يهتدي فيه بالأنجم، ولكن الفاجعة أن هذه الأنجم انطفأت، وأظلم الكون من حوله:

عِشْتُ بِالأنجُمِ مِنْ سَلْسَالِهَا   أغْرفُ الضَّوءَ وأُطْفِي الحَرَقَا
ثُمَّ ماتَتْ فسَمَائِي صَخْرةٌ   يَبِستْ بَعْدَ كَرِيمِ المُسْتَقَى

---

(٢٧) الشاعر حمد الحجى، أ. د. محمد بن حسين، ص٢٨.

يأس متجذر، ووحشة نفسية مرعبة، فما الخلاص؟ ولمن الشكوى؟ وهنا يتوجه إلى الله شاكيًا، فالسفينة تائهة، والأمواج عاتية، والظلام حالك، والنفس منهكة، والأمل غارب:

يَا إلهِي أظْلَم الكَونُ فلم   تَرَ عَينٌ فِي دُجَاهُ ألَقَا
أمَلٌ يَخْبُو وقلْبٌ يَرتمِي   فَوقَ أشْواقِ الضَّنَى مُنسَحِقَا
ظُلُمَاتُ اليأسَ مَا فِيها سِوى   جَمْرَةٍ فِيها فُؤادِي احْتَرقَا

جسد الحجي حياة قلقة مضطربة، يخنقها ظلام اليأس، وصوّر فؤادًا محترقًا، ونفسًا تائهة مرتعبة، كارهة للحياة، تعشق الرحيل:

يَا لَعَيْنِي مِن تصَارِيف النَّوى   يالرُوحِي مِن تَبَارِيحَ الشَّقَا
كَفِّنِي يا شَمْسُ مِنِّي هَيْكلا   كَفِّنِيهِ هَيْكلاً مُحْتَرِقَا
وادْفِنِيهِ جَانِبَ النَّهْرِ فَقَدْ   يَتَلَقَّى الصُّبح غُصنًا مُورِقَا

لقد لخّصت قصيدة "ثورة نفس" مأساة الشاعر وتشاؤمه، وكراهيته للحياة، وضياعه النفسي. كذا نجد أن لجوء الشاعر إلى الخالق العظيم أتى في صورة ومضات خافتة في وسط ظلام نفسي حالك السواد، ففي خضم هذا اليأس وهذا الزورق التائه يقول شاكيًا متضرعًا إلى الله:

رَبِّ ضَلَّ العقْلُ فِي غَيْهَبِه   فَارْحَم اللَّهُمَ عَقلِي المُرهَقَا
يَا إلهِي أظْلَم الكَونُ فلم   تَرَ عَينٌ فِي دُجَاهُ ألَقَا

في هذين البيتين نجد توجهًا إلى الله، لكنه موشّى بروح قلقة يائسة شاكية، مما يرشح أن يكون هذا النص من آخر ما كتب الشاعر(٢٨)؛ لأن الحجي يبدو في قمة التوتر وذروة الانفعال، فقد كتبها إبان علاجه في لبنان، ونشرتها مجلة الورود اللبنانية(٢٩). كما أن هذه الشكوى، ليست شكوى المستسلم المطمئن، بل شكوى المتوجع اليائس.. فلو امتدت هذه الشكوى وهذه المناجاة لهدأت نفس الشاعر التائهة واستقرت، وثبَّتها الإيمان والهدوء والتسليم. إن نظرة الشاعر إلى الحياة يغطيها اليأس والتشاؤم، فلم يُبق منفذًا للأمل أو التفاؤل. ولكن الحجي استطاع - بمقدرة شعَرية فائقة - أن يصور نفسيته البائسة المعذبة، وأن ينقل المتلقي إلى عالمه المخيف، ويشركه في مأساته، ويجبره على الشعور بهمّه وفواجعه في الناس والحياة التي لم يستطع فكره البشري القاصر أن يجد لها تفسيرًا مقنعًا.

ومن الشعراء الشاكين من آلام النفس، ومن الحزن والضيق، محمد الفهد العيسى (١٣٤٣هـ)، فشعره ينضح بالتشاؤم والقلق والانقباض، ويصور هذا اليأس في ضراعته وشكواه إلى الله سبحانه وتعالى في قصيدة "دعاء"(٣٠):

يا إلـه السماءْ رحمة يا إلـهْ
راعَ قلبي الشقاءْ في ربيع الحياهْ

---

(٢٨) اتجاهات الشعر المعاصر في نجد، د. حسن الهويمل، ص٢٥٣.

(٢٩) المرجع نفسه.

(٣٠) على مشارف الطريق، محمد الفهد العيسى، مطابع دار العلم للملايين، بيروت، ص٤٠-٤٢.

يا إله السماءْ
كـيف أحيا؟ وروحي تُذاب بكأس العـنَـا والحـزَنْ
كـيف أحيـا؟ وقلبي جــراح تنوحُ بليـلِ الشَّـجنْ
يا إله السماءْ
رحمة يا إلهْ

وينهي شكواه وضراعته إلى الله بالحنين إلى الموت:

إننــي قـد شقيت حــياتي حـنين ودمـعٌ ودمْ
ربّ إنّ الفناءَ أحب إليّ فقد هدَّ قلبيَ الضنى والألمْ
يا إله السماءْ
رحمة يا إلـهْ

حـتى في لجـوئه إلى الله سبحانه وتعالى، تنضح ذاته بالحزن والألم والتأوه والاضطراب النفسي، ويتكرر هذا في كثير من قصائده الذاتية، فتكثر شكواه من الأوجاع النفسية، ويضرع إلى الله أن يرحمه ويخلصه من هذا الهم والقلق والحزن والشقاء. والمتمعن في قصائد العيسى الشاكية لا يتبين باعثًا ملموسًا لكل هذا الأسى النفسي العاصف، بقدر ما يخرج بانطباع عن نفسية قلقة مضطربة لا يقر لها قرار، تجهل ما تريد، أو على الأقل لا تريد أن تفصح عن مكنونها، نفسية تعشق التذمر، وتتلذذ بتعذيب الذات، ولعله مقلدٌ للشعراء المتألمين.

وأحيانًا تكون نبرة الشكوى من الحزن والضيق عند بعض الشعراء خافتة، بمعنى أن تكون سحابة صيف عابرة، فلا

تشكل ظاهرة بارزة، بل حالة طارئة يمر بها الشاعر، يدل على ذلك مقطوعة قصيرة للشاعر محمد عبدالقادر فقيه (١٣٣٨هـ) الذي بلغ به الحزن والضيق مداه، فلم يعد يرى في الحياة إلا السواد والظلام، وشكا من جفاف قلبه وظمئه، فهرع إلى الله شاكيًا ضارعًا أن يجلو عن قلبه السواد، ويمده بالسكينة ويهبه النور، يقول في "ابتهال"(٣١):

ياربّ ملءُ يدي وفي قلـ ـبي وفي دربي الرمادُ
دنيايَ ذي احترقتْ وكفّن أفقَها الدّامي السوادُ
لا اللُّجُّ يطفئها ولا في الشّطِ يرتاحُ الفؤادُ
أنا نِضْوُ أحزانٍ ترامتـ ـني الصحارى والوهادُ
فاشرق على قلبي بنو رِكَ إنك البَرُّ الجوادُ

يبدو الحسُّ الرومانسي في هذا النص ظاهرًا، من حيث سيطرة نغمة الحزن والأسى، كذلك نجد اللغة وطريقة التعبير رومانسية صرفة.

ومن الشعراء من يصيبه الألم النفسي المعتدل الذي لا يتجاوز الحدود الطبيعية للضيق النفسي، فيتألم من بعض أنماط فساد السلوك البشري، ومن الناس ونفاقهم، وغياب الصديق الصدوق، وتفشي الأخلاق السيئة، وسط عالم متطاحن، الصدارة فيه للأقوى، فالقوي فيه يأكل الضعيف، والكل يلهث وراء المادة.

---

(٣١) المجموعة الشعرية الكاملة، محمد عبدالقادر فقيه، الطبعة الثالثة، ص٦٦٧.

فالشاعر محمد إبراهيم جدع (١٣٣٠- ١٣٩٥هـ) يشكو إلى الله في "توسلات"(٣٢)، من ظلم خصومه، بادئًا شكواه بالضراعة إلى الله ممزوجة بالبوح عما يؤلمه، قائلاً:

يا رب لا أرجو سواك لحاجتي   وشكايتي من فتنةِ الأشرارِ
كلا ولا أرضى بغيرِك مُنقذًا   مما يقولُ مُلفقُ الأخبارِ
أنت المبرئ للبريء فنجني   يا ربِّ من زور ومنْ أضْرارِ
يا ربّ لا يدري سواك بمسلكي   وسمُو نفسي واجتناب العارِ
أنت العليمُ بحالتِي وبمنهجِي   ونقاوتِي من مسلكِ الفُجَّارِ
لكن ظُلمًا أن نزكي نفسنا   وأشد ظُلمًا تُهمة الأشرارِ
وأشد ظلمًا أن يشيعَ سفيهُنا   بالقول إفكًا بغية الإضرارِ

ثم يضرع إلى الله أن يبرئ ساحته لدى خصومه، ويدعو عليهم إذا أصروا على معاداته أن ينتقم الله له منهم:

يا رب أنزل في قلوبِ مُخاصِمي   عبرا تُبرئ ساحتِي ووقاري
وإذا أصروا للأذى وكراهتي   أرسل عليهم نقمة الأشرارِ

والنص كما يظهر ركيك الأسلوب، مثل قوله: "أنت المبرئ للبريء، بغية الإضرارِ، زور ومن أضرارِ..."، مع شحوب العاطفة، وضعف تركيب الجمل.

---

(٣٢) المجموعة الشعرية الكاملة، ديوان وحي الشاطئ، محمد إبراهيم جدع، النادي الأدبي الثقافي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. ص١٠٦.

وحسين عرب (١٣٣٨ - ١٤٢٣هـ) يستغيث بالله ويضرع إليه في "دعاء"(٣٣)، بعد أن يشتكي من الأيام والخطوب والناس، الذين أصابوه بالألم النفسي، قائلاً:

رَبِّ رُحماكَ قد تهدَّم عُمْري   كُلَّما داهمتْهُ شتَّى الشَّدائدْ
ما تعرَّفتُ غيرَ بابكَ بابا   حينما تلْتقِي بِقلبِي المَواجدْ
زهِدتْ نفْسِي الأليمةُ بالنا   سِ وإنِّي إليكَ لستُ بِزاهِدْ
خالِدٌ أنْتَ والحياةُ ستَفْنى   كهشِيمٍ وليسَ غيركَ خالِدْ
حَبَسَتْ عَيْنِيَ الدُمُوعَ مِنَ الحُزْ   نِ وَثَارَتْ بِجَانِبَيَّ المواقِدْ
فأغثني يا واهِبَ الفضْلِ بالفَ   ضْلِ توالَى بخيرِكَ المُتوارِدْ
وأعِنِي على الهدايةِ والرُّشْدَ   فإني لمهتدٍ بِك راشِدْ
وادْرأِ الكَيْدَ عَنْ حَيَاتِي يَا خَيْـ   ـرَ مُعِيْنٍ عَلَى ظَلُومٍ وَحَاقِدْ

ويشتكي حسن عبدالله القرشي (١٣٤٤ - ١٤٢٥هـ) في "صلاة شاعر"(٣٤) من غربته في الحياة الخانقة، وضيقه بالبشر المتربصين، الذين يشهرون حرابهم في وجهه، قائلاً:

إليك شروديَ يا خالقي   فقد ضِقتُ بالعالمِ الخانقِ
غزاني بآلامِهِ مُرغما   فحارَ بتيارِهِ خافقِي

---

(٣٣) المجموعة الكاملة، حسين عرب، شركة مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة، ص٦٠.

(٣٤) ديوان حسن عبدالله القرشي، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، ١/٢٨٤.

وضِقتُ بأبناءِ هذا الزمان   كواسرَ كالذئب والغاسق(٣٥)
أروم انطلاقي نِضوًا إليك   إلى نورك الغامرِ الدافقِ
إلهي إني فقيرٌ إليك   فخذ بيدي أنت ياخالقي

وفي "هتفة مجروح"(٣٦) يتضرع ويشتكي إلى الله الرحمن الرحيم من السأم والضيق والحيرة، ومن نفسه الظالمة، قائلاً:

ربّاه مالي أمَلٌ يُرتجى   غَيْرُ لِياذي بك يا موئلي
أصبح صدْري ضيّقًا مُحرجَا   واستشرفَتْ روحي إلى مَنْهلِ
جْئتُك ربِّي حائرًا مُسلِمًا   روحي إلى بارئها الأكبرِ
مُستغفرًا جئتك لاأحمل   إلا إلى ذاتِك روحي الأشِرْ
ومأملي الرّحمة من سُدةٍ   ما أخفق القاصِدُ محرابَها

والشاعر عبدالله بن إدريس (١٣٤٩هـ) في قصيدته "في زورقي" يشكو إلى الله من الحياة والناس، وضياع القيم، وسيادة التملق والخداع، ضارعًا إلى الله أن يتجاوز بزورقه الجميل كل هذه الصعاب، وأن يبقى صامدًا أمام كل مغريات الحياة ومفاسدها. والنص في سبعة مقاطع يحكي فيها الشاعر فورة من فورات الشباب في ذلك الوقت، وتجربة شعورية ذاتية(٣٧)، في مرحلة زمنية مر بها، ويبدو أنها مرحلة

---

(٣٥) الغاسِقُ: الليل؛ إذا غاب الشفق أَقبل الغَسَقُ..." لسان العرب، مادة: غ س ق.

(٣٦) ديوان حسن عبدالله القرشي، ٢/ ٢٤١.

(٣٧) انظر: في زورقي، عبدالله بن إدريس. عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، المقدمة.

مبكرة - كما يظهر من رومانسية النص - إبان دراسته الجامعية وكانت مليئة بالعقبات. وقد صورها بصورة زورق يشق عباب البحر ويتعرض إلى الأعاصير والرياح وإلى الظلام الحالك وسط بحر متلاطم الأمواج، ولكن في النهاية ينتهي الليل وينبلج الصبح عن نور أضاء طريق ظلمته، وهذه القصيدة يرمز بها الشاعر إلى حياته وما أحاط بها من أفكار وعثرات وتجاوزات، داعيًا الله أن يسلمه. والشكوى في هذا النص مضمَّنة يمكن استشفافها من ثنايا الضراعة، يبدأ النص بشكوى الشاعر من الحياة(٣٨):

رَبَّاه بلّغ بالسلامةِ زورقَ الحلم الجميلْ
فهنا أعاصير الشقاء تفح من خلفِ الأصيلْ
وهنا شراعي لامسَ الموجَ المجنح في ذهولْ
وتلفت القلبُ الشجي فهاله الأمس الثقيل
فإلى الأمان لشاطئ نتنسمُ الريحَ العليلْ

ويكمل الشاعر سرد معاناته، ضارعًا إلى الله في ختام كل مقطع أن يبلغه السلامة، شاكيًا من الحياة والناس، ومتوجهًا إلى الله ملك السماء والأرض أن يدفع عنه كل شر ومكروه، وأن ينير دربه:

ملك السما والأرض هل من قادر يرجو العبادْ
إلاك في دفع المكاره والظلامات الشداد
(إن البغاثَ استنسرت) بل جانبت سبلَ الرشاد

---

(٣٨) المرجع نفسه، ص٢٢٩.

ونعيمك المدرار (...) يعلي الحقير على الجليل
رباه بلّغ بالسلامةِ زورقِ الحلم الجميل

ويستمر في البوح بمعاناته، رامزًا لحياته بالزورق الجميل البريء، وسط أمواج عاتية من العثرات، ووسط عالم بشري يكتنفه الخداع والتزوير:

أبدًا أصونُ كرامتي رغم الصعاب العاتيات
لن أنثني عن مبدئي فالحق أجدر بالثبات
ومكاره الأيام تصنعُ في الرجالِ.. المكرمات
فلْتجْرِ بَي يا زورقي كي نعبرَ البحرَ المهيلْ
رباه بلّغ بالسَّلامةِ زورقَ الحلمِ الجميلْ

وتنتهي رحلة الشاعر في هذا الزورق بوصوله إلى بر الأمان، بعد أن بزغ النور وأضاء له الطريق، وتمكن من الوصول إلى شاطئ الأمان:

فتنفس الإصباحُ عن نورٍ أضاءَ لي السبيل
ولقَدْ سئِمْتُ وعاقنِي عن مطمحي اللَّيلُ الطَّويل

من الواضح أن الشاعر قد عاش أزمة عاصفة فهو يضرع إلى الله أن يسلمه منها، وهذا سر تكرار اللازمة "رباه بلغ بالسلامة زورق الحلم الجميل"(٣٩) في آخر كل مقطع ، والشاعر لم يصرح مباشرة بمعاناته النفسية، ولم يكشف عنها بجلاء، بل لمح إليها تلميحًا، ويبدو أنه عاش تجربته

---

(٣٩) المرجع نفسه، ص٢٢٩.

بعنف، والدليل على ذلك أنه بعد كل مقطع يضرع إلى الله أن يبلغه السلامة وسط الأمواج، وأن يدله إلى الطريق المنير الصحيح. يقول الشاعر عن قصيدته: "والبيت الأخير في القصيدة ينبئ إنباءً جليًا بأن المعاناة وصلت إلى نهايتها ولو "بالتمني" والافتراض والتفاؤل، وهذا هو ما حصل - بحمد الله - في واقع الحال بعد تلك المعاناة بوقت قصير"(٤٠).

وفي مقطوعة صغيرة، لعبدالعزيز خوجة (١٣٦١هـ) بعنوان: "أتيتك يا رب"(٤١) يشكو إلى الله سبحانه وتعالى ظمأه الروحي للحب المفقود بين الناس، كما يشكو من الفؤاد التائه، سائلاً الله أن يسدد خطاه للطريق المنير:

أتَيـتُكَ يا ربِّ عطْشانَ حبًا   لِتَشْفي غليلي وتُطفي حريقي
ومَنْ لي سِواكَ يدلُّ الفؤادَ   ويَهْدي الشّريدَ لنورِ الطَّريقِ؟!

وتتكرر الشكوى إلى الله من الألم النفسي من البشر ومطامعهم، وبطشهم، وصراعهم بعضهم مع بعض، عند الشاعر غازي القصيبي (١٣٥٩هـ)، الذي يشكو إلى الله ضعفه وسط عالم بشري متوحش، وذلك في قصيدة "دعاء"(٤٢):

---

(٤٠) كلام في أحلى الكلام، عبدالله بن إدريس، طبع شركة العبيكان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٤٢.

(٤١) حنانيك، عبدالعزيز محيي الدين خوجة. الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، مكة المكرمة، ص٧٠.

(٤٢) المجموعة الشعرية الكاملة، ديوان: أنت الرياض، د. غازي القصيبي، مطبوعات تهامة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٥٢٩.

ربِّ إني عبدٌ ضعيفٌ ضعيفُ   حشد الناسُ حولَه ما يخيفُ
هو في مجمع الرياح وحيدٌ   والعِدا، أينما أطلَّ، ألوفُ
شهروا الألسن الحداد فنالت   من حناياه ماتنال السيوفُ
ذنبه أن قلبَه، وقلوب النـ   ـاس في حمأة الوحُولِ، نظيفُ
ذنبه أن قلبَه، وقلوبُ النـ   ـاسِ موبوءة الدماءِ، عفيفُ

ثم يضرع إلى الله طالبًا رضاه:

ربِّ! صُني (...) أنْ أطأطئَ رأسي   لضلالٍ.. وإن طوتني الحتوفُ(٤٣)
واجعل الحقَّ بغيتي.. لا تكلني   لوجودٍ أساسه التزييفُ

اعتمد الشاعر على المقابلة بين ما تضطرب به بعض قلوب البشر من أدران، وبين مثاليته، ونصاعة قلبه ونفسه - كما يقول - سائلاً الله أن يصونه من إهانة ذاته، وبيع مبادئه، من أجل مصالح دنيوية زائلة، وأن يجعل الحق هدفه وبغيته.

وفي قصيدة "خذني إليك"(٤٤) تعصف به رياح الألم، والسأم، والتساؤل، وكراهية الحياة وسوداويتها، ونشدان المثالية المفقودة بين الناس، ويشتكي من رقة شعوره، وتوقد إحساسه، ثم يسترسل في بيان رغبات الناس في هذه الحياة، هذه الرغبات التي لا تخرج عن نطاق المطالب الدنيوية الفانية، التي يسعى أصحابها للحصول عليها حتى بالطرق

---

(٤٣) كتبت لفظة "أطأطئ" في الديوان هكذا "أطأطأ".

(٤٤) المجموعة الشعرية الكاملة، ديوان قطرات من ظمأ، ص٢٠٦-٢١٠.

غير المشروعة، ثم يتمنى أن يكون مثلهم بلا إحساس أو شعور، فقد أنهكه الجري اللاهث خلف السراب، للبحث عن واحة من خيال:

تعبت من الجري خلف السراب

من البحث عن واحة في الخيال

ويضرع إلى الله، أن يعجل نهايته ليتخلص من هذه الحياة، التي اختلت فيها الموازين، وغابت الراحة:

إلهي.. سألتَك: "خذني إليكْ

فإن حياتيَ ضاقت عليّ

ولو طال فيها بقائي

سأصبح يا رب كالآخرينْ

سأصبح وحشًا يحب الدماءْ

ويغمدُ خنجرَه في الظهورْ

ليحظى بأمنية سافلةْ

إلهي عرفتك فوق الظنونْ

وأعظم مما يخال البشرْ

وأسمى.. وأسمى

عرفتُك ربّ فخذني إليك..."

والشكوى من الحياة والناس، تكررت عند الشاعر محمد فهد العيسى، فهو يتمنى أن يكون شيئًا بعيدًا عن عالم البشر،

ويظهر هذا في قصيدته "مُعاناة"(٤٥) التي يشتكي فيها إلى الله ألمه النفسي من الناس السادرين في الوحول، المحاربين للفضيلة، ثم يناجي الله، ويشكو إليه، ويتمنى لو لم يكن شيئًا، ويعزو ذلك إلى الحياة البشرية وما يموج فيها من آثام، مازجًا بين الشكوى والضراعة:

لَيْتني يا رَبِّ شيئًا لم يكُنْ...
هُلاميًا.. يعيشُ في غيبِ الغَدِ ابْتداءً..
وانتهاءً...
أربعون عامًا يا إلهي قد مَضَتْ...
في نار شِقْوةِ الْعَناء
من أرى..؟؟
الوالِغُون في الأعراض.. في الدِّماء؟(٤٦)
المُدْلِجُون في دُروب الوحَل...
يَرشِقون الخيرَ بالمقُول المَسْخ بالغُثاء؟

وفي قصيدته "الضليل"(٤٧) بعد تساؤلات مرّة تنبيء عن حيرة، وألم، يقول:

---

(٤٥) دروب الضياع، محمد الفهد العيسى، الكتاب العربي السعودي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ١٢٤ - ١٢٩.

(٤٦) فلانٌ يلَغُ في دماء الناس فهو والغٌ: يغتابهم. (عن المعجم الوسيط، مادة: و ل غ) وأصل المعنى من أفعال الكلاب والسباع حين تشرب ما في الإناء بأطراف لسانها. ويقصد الشاعر الخائضين في أعراض الناس، ولشدة كراهة هذا السلوك جُعل كأنَّه ولوغ الكلب.

(٤٧) على مشارف الطريق، محمد الفهد العيسى، مطابع دار العلم للملايين، بيروت، ص٦١.

أنا من يا تُرى في هذه الدنيا ؟ وماذا ..؟ أكونْ؟
أنا وهمُ أحلامٍ وآمالٍ تلاشتْ في سُكون..

وفي غمرة هذه الكآبة، يضرع إلى الله أن يخلصه من هذا الهم، والألم النفسي المبرح، ولا يجد طريقًا إلى الخلاص من الأوجاع، سوى الهرب، وتمني الموت:

لاهُمَّ خذ بيدي إليك فقدْ يئستُ من النجاهْ
خذني إليكَ فقدْ سئمتُ العيشَ في هذي الحياهْ

حتى وهو في شكواه وضراعته وتوجهه إلى الله تنضح حروفه بالألم، والحزن، والضيق، واليأس البغيض. إن العلاج الوحيد عندما يشتد الضيق النفسي، ويثور القلق، هو اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى - وهذا مطلوب دائمًا - لجوءًا حقيقيًا وسؤاله برد الإيمان، واحتساب الأجر، وكسب المصيبة، وليس الدعاء بطلب الموت. عن النضر بن أَنَس قَال: قَال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَولا أني سمعت النَبي ﷺ يقولَ: "لا تتمنوا الموت" لتمنيت(٤٨). وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي"(٤٩)، وعن

---

(٤٨) صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (كتاب التمني)، باب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّمَنِّي، حديث رقم: ٧٣١٩، ٩/١٠٤.

(٤٩) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر وتوزيع إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: كراهة تمني الموت لضر نزل به. حديث رقم: ٢٦٨٠، ٤/ ٢٠٦٤

قيس قال: أتيت خبابًا وقد اكتوى سبعًا في بطنه، فسمعته يقول: "لولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به"(٥٠).

أغلب الشعراء الذين تمّ اختيارهم للدراسة صنفهم النقاد ضمن مسمى الشعراء الرومانسيين(٥١) - الحجي، القصيبي، العيسى، القرشي، الزمخشري - وليس من الصواب أن يصنف الشعراء أولاً ثم تخضع النصوص لتلك التصنيفات، أو المذاهب الأدبية، وإنما النصوص هي الفيصل، وهي الحكم، وهي التي تحدد توجه الأديب ومذهبه. وقبل الحكم على هؤلاء الشعراء بأنهم من الرومانسيين، لا بد من ذكر السمات العامة للمذهب الرومانسي: "الذاتية والفردية والتأملية والروح الغيبي والصوفي وإلى الرضا بالبؤس... وعدم التعقل والكآبة ونداء الموت، بل الفزع إلى الانتحار في بعض الأحايين"(٥٢)، وفي موضع آخر: "الشكوى من الزمان واليأس من الحياة بل مناداة الموت تخلصًا من الحياة، وأكثر ما نجد هذه المظاهر في يفوعة الشعراء"(٥٣). أيضًا توقد العواطف ورقة الأحاسيس، والحزن، والألم، والفرار من الواقع، تلك أبرز ملامح المذهب الرومانسي.

وبناء على هذا فإن سمات بعض النصوص التي تم الاستشهاد بها للشعراء السابقين، والتي تعبر عن الألم الحاد،

---

(٥٠) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدُّعَاءِ بِالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، حديث رقم: ٦٤٢٤، ٨/٩٤.

(٥١) راجع كتاب: اتجاهات الشعر المعاصر في نجد، د. حسن بن فهد الهويمل. ففيه تفصيل لهذه القضية.

(٥٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، د. مصطفى السحرتي، ص٢١٤.

(٥٣) المرجع نفسه، ص٢١٧.

والشكوى المريرة، قد اصطبغت بالحسّ الرومانسي، واتشحت بردائه، ولكن لا يمكن الجزم بتبنيهم لهذا المذهب الأدبي، وأن يصنف الشاعر بشكل عام بأنه رومانسي مطلقًا، بناء على بعض النصوص التي لا تشكل ظاهرة عامة سار عليها الشاعر. فلو نظرنا إلى تأريخ هذه النصوص نجد أنها كتبت في فترات زمنية مبكرة من عمر هؤلاء الشعراء، تمثل بداية الشباب، لذا فهذه القصائد تكشف عن طبيعة المرحلة العمرية، أو أن بعضهم مرّ بمعاناة خاصة، ولّدت لديه هذا الحزن وتلك الشكوى. وخلاصة القول أن النصوص الواردة في هذه الدراسة التي تجسد الألم، والضيق الخانق، يظهر فيها الاتجاه الرومانسي، سواء قصد الشعراء تقليد الرومانسيين، أو أن طبيعة الموضوع فرضت هذا الأداء.

الاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة:

عرَّف القزويني الاقتباس بقوله: "أما الاقتباس فهو أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه، كقول الحريري: فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب. وقوله: أنا أنبئكم بتأويله، وأميز صحيح القول من عليله. وقول ابن نباتة الخطيب: فيا أيها الغفلة المطرقون، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون؟ وما لكم لا تشفقون؟ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون... وقول الآخر:

لا تعاشر معشرًا ضلوا الهدى   فسواء أقبلوا أو أدبروا
بدتِ البغضاءُ من أفواههِم   والذي يخفون منها أكبرُ

وقوله:

خُلةُ الغانياتِ خلة سوء   فاتقوا الله يا أولي الألبابِ
وإذا ما سألتموهن شيئًا   فاسألوهن من وراءِ حجابِ

... وكقول الحريري: وكتمان الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبر عبادة. فإن قوله: "انتظار الفرج بالصبر عبادة" لفظ الحديث. وقوله: قلنا شاهت الوجوه، وقبح اللكع ومن يرجوه. فإن قوله: "شاهت الوجوه" لفظ حديث... وكقول ابن عباد:

قال لي إن رقيبي   سيئُ الخلق فدارِهْ
قُلتُ دعني وجهكَ الجنـ   ـة حُفَّت بالمكارهْ

اقتبس من لفظ الحديث "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات"..."(٥٤).

ويورد القزويني تعريفًا للتضمين بقوله: "وأما التضمين فهو أن يضمن الشعر شيئًا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا عند البلغاء"(٥٥).

من هنا يتبين أن الاقتباس خاص بالأخذ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والتضمين خاص بالأخذ من الشعر، أي أن يأخذ الشاعر من شعر غيره.

---

(٥٤) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني. شرح وتعليق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، ص١٢٩.

(٥٥) المرجع نفسه، ص١٣٠.

وظهر لي من دراستي لهذا الموضوع أن الاقتباس من القرآن الكريم بنصه في هذا النوع الشعري، لم يوجد في شعر الشعراء، واكتفوا باقتباس معاني الآيات القرآنية ودلالاتها، أما إدخال الآية القرآنية بنصها في النص الشعري فلم أجد ذلك في النصوص التي جمعتها في هذه الدراسة. وما سيتم بيانه سيكون نماذج دالة، قد يغني بعضها عن غيرها.

فمن الاقتباس من القرآن الكريم قول الشاعر أحمد عبدالغفور عطار(٥٦):

وليس غيرك يشفيني ويرأف بي   فعافني من لظى الحمى وخذ بيدي

اقتبس من قول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء: ٨٠]. وفي "هتفة مجروح"(٥٧) يشتكي القرشي من السأم، والضيق في الصدر، قائلاً:

أصبح صدْري ضيّقًا مُحرجًا   واستشرفَتْ روحي إلى مَنْهلِ

مقتبسًا من الآية الكريمة ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [**الأنعام**: ١٢٥].

والشاعر محمد إبراهيم جدع في "توسلات"(٥٨) يقول:

لكن ظلما أن نُزكي نفسنا   وأشد ظلما تُهمة الأشرارِ

---

(٥٦) الهوى والشباب، ص٥٥.

(٥٧) ديوان حسن عبدالله القرشي، ٢/ ٢٤١.

(٥٨) المجموعة الشعرية الكاملة، ديوان وحي الشاطئ، ص١٠٦.

الشطر الأول مقتبس من بعض ما جاء في الآية: ﴿ الَّذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾[النجم : ٣٢].

وغازي القصيبي في قوله(٥٩):

ربِّ إني عبدٌ ضعيف ضعيفُ حشدَ الناسُ حولَه ما يخيفُ

مقتبس من الآية الكريمة التالية: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾[النساء : ٢٨].

والشاعر محمد إبراهيم جدع يشكو إلى الله في "توسلات"(٦٠) ويدعو قائلاً:

يارب أنزل في قلوبِ مُخاصِمي عبرًا تُبرئ ساحتِي ووقاري
وإذا أصروا للأذى وكراهتي أرسل عليهم نقمة الأشرارِ

اقتباس معنوي من الحديث النبوي الشريف. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو فَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ يَظْلِمُنِي وَخُذْ مِنْهُ بِثَأْرِي"(٦١).

والشاعر محمد عبدالقادر فقيه، اقتبس دعاءه الآتي(٦٢):

---

(٥٩) المجموعة الشعرية الكاملة، ديوان أنت الرياض، ص٥٢٩.

(٦٠) المجموعة الشعرية الكاملة، ديوان وحي الشاطئ، ص١٠٦.

(٦١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ. حديث رقم: ٣٩٦١. قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٦٢) المجموعة الشعرية الكاملة، ص٦٦٧.

أنا نِضْوُ أحزانٍ ترامتـ ـني الصحارى والوهادُ
فاشرق على قلبي بنو رِكَ إنك البَرُّ الجوادُ

مقتبس من الحديث الشريف الذي رواه ابْنُ عَبَّاس - رضى الله عنهما - وقَالَ فيه إن الرسول ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا"(٦٣).

ما سبق كان أمثلة على الأخذ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد ظهر من النصوص التي تم الاستشهاد بها أن أغلب الاقتباسات تركزت في الاقتباس المعنوي، و أخذ بعضًا من ألفاظ الأدعية، واستلهام الدعاء، مبتعدين عن الاقتباس الكامل لفظًا ومعنى، حرصًا منهم - في رأيي - على عدم تضمين الشعر بنصوص من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة.

وبعد أن أعانني الله سبحانه وتعالى، وأنعم عليّ بإتمام هذه الدراسة، أجمل أهم النتائج التي توصلت إليها:

- كشفت النصوص التي تمّ الاستشهاد بها في هذا البحث بروز وتوقُد الحسّ الديني لدى الشعراء في هذه الدراسة، وصفاء العقيدة، فلا انحراف في الأفكار، ولا تجاوز للحدود العقدية في انتقاء الألفاظ، وفي الشكوى والضراعة إلى العلي القدير، لا وسطاء أو شفعاء في

---

(٦٣) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، ٨/١٢٧٢.

الإنابة والضراعة إلى الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم، فقد توسلوا بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى. وهذه سمة بارزة في الشعر السعودي بشكل عام؛ وهذا بفضل الله ثم بفضل الدعوة السلفية التي ارتكزت عليها الدولة السعودية، وكان من أهم مرتكزاتها تصفية العقيدة من البدع والشركيات. إن "الدعاء مخ العبادة(٦٤)، وصرف شيء منه لغير الله قادح في العقيدة، والشاعر السعودي المعاصر بفضل الدعوة الإصلاحية التي اهتمت أول ما اهتمت بتخليص العقيدة من كل الشوائب أبعد الناس عن مثل هذه الموبقات"(٦٥).

- ظهرت الدقة بشكل عام في تصوير الوجع والمعاناة من المرض الجسدي، والألم النفسي، وظهر في قصائد بعضهم الألم الحاد، والشكوى المريرة، وقد سيطرت نغمة الحزن والشجن في ضراعتهم وشكواهم.
- شكا بعض الشعراء من الحياة وغياب الصدق والمثالية بين الناس، وتضرع بعضهم إلى العلي القدير أن يُعجِّل نهايته ليتخلص من الألم والهم وهذه الحياة. وكان نداء الموت تخلصًا من معاناة ضيقة أسيرة للذات، ونظرة سوداوية كالحة للحياة.

---

(٦٤) جاء في الحديث النبوي: عَن النعمان بن بشير، قَال: قال رسول الله ﷺ: "إن الدعاء هو العبادة". ثم قرأ: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم). سنن ابن ماجه، ٥/٥٥٤، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء.

(٦٥) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، د. حسن بن فهد الهويمل، ص١١٣.

- كانت العاطفة الصادقة سمة بارزة لأغلب قصائد الشكوى والضراعة إلى الله، وربما يعود ذلك إلى صدق التجربة الشعورية، وتوجههم إلى الخالق الكريم توجهًا حقيقيًا خاليًا من كل زيف وتصنع.
- تميزت أغلب قصائد هذه الدراسة بالوحدة العضوية والموضوعية، بمعنى أن النص كان مستقلاً، ولم يكن ضمن موضوع آخر، أما الصور الفنية فقد كانت معبرة عن انكسار النفس وتحسرها.
- سيطر الشعر العمودي (شعر الشطرين أو الشطر الواحد) على أغلب نتاج الشعراء في هذه الفترة، كما أن نظام المقطوعات الشعرية واستقلال كل مقطع بقافية مستقلة وحرف روي مختلف مع توحد الوزن في النص، كان سمة لهذا الشعر، وربما يعود هذا إلى اختلاف الناحية النفسية للشاعر، وترددها بين الخوف والرجاء والأمل واليأس، فكان كل مقطع تعبيرًا عن الشعور النفسي. أما شعر التفعيلة فلم يشكل إلا نسبة قليلة من هذا الشعر. وعناوين القصائد في أغلبها كانت تفصح عن مضمونها، مع تشابهها، وأحيانًا تطابقها، مثل: ربَّاه، إلهي، دعاء، ابتهال، نجوى...
- تكرر المد في نهاية الأبيات، وأحيانًا في داخل النص في كثير من القصائد، مما أكسب هذه النصوص موسيقى داخلية، بالإضافة إلى الموسيقى الخارجية، مما جعل الموسيقى في خدمة المعنى والغرض، والمد دائمًا يوحي

بالأنين والتوجع والحسرة، كما أن الكسر في القافية أيضًا كان من سمات هذا الشعر تعبيرًا عن انكسار الذات وحزنها، كذا استخدم النداء بالأداة "يا" أو بدونها جاء في أكثر النصوص.

عشرة آلاف ميل
عبر الجزيرة العربية

تأليف

آرنست وايز

ترجمة

د. عمر بن عبدالله باقبص

١٢٨ صفحة

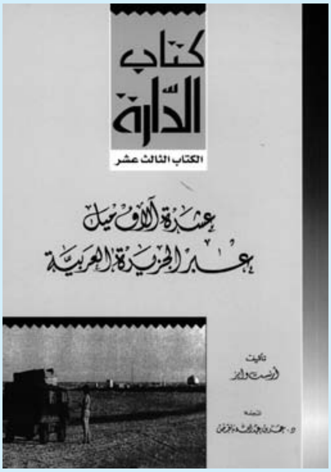

كتاب الدارة

الكتاب الثالث عشر

عشرة الآف ميل عبر الجزيرة العربية

تأليف

آرنست وايز

يتحدث هذا الكتاب عن رحلة قام بها الرحالة النمساوي آرنست وايز بسيارته الخاصة بصحبة الأميرة النمساوية أوديسكالشي في زيارة إلى المملكة العربية السعودية، ولقائه جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله، وما سجله من انطباعات في مجلسه الكريم، وقد سجلت سطور كتابه بعضًا من الخطب الطموحة لجلالته طيب الله ثراه، والتي كانت تستهدف الرقي بالبلاد.

وقد تعرض الكاتب أيضًا في مسيرة رحلته للحديث عن مشاهداته لنهضة المملكة الاقتصادية والثقافية والعمرانية، إلى جانب وصف مراحل الطريق ومشاق السفر أثناء الانتقال بين المنطقة الشرقية والرياض، وبين الرياض وجدة، حيث حطت الرحلة رحالها هناك.

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

الدارة

ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد الكتروني info@darah.org.sa